



وقفات مع سير الصالحين في الحج



الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق الطبع محفوظة

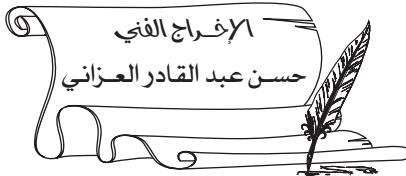
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



التدقيق اللغوي

سيد أحمد نورائي





إعداد

عبد الله خالد الهاشمي

باحث بإدارة البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
بدبي - إدارة البحوث » أن تقدّم إصدارها الجديد « وقفات مع
سير الصالحين في الحج » لجمهور القراء من السادة الباحثين
والمتقنين والمتطلعين إلى المعرفة.

فهذه قبسات يسيرة من آثار السلف الصالح وهديمهم في
الحج، وسيرتهم فيه. نقف فيها خمس وقفات: من الإخلاص،
والمتابعة، والعبادة والرجاء، وبذل الخير، وطلب العلم.
نلتمس فيها طريقة السلف المثلى، ونستخلص منها الدروس
والعبر. وهي مساهمة ضمن حقبة الحجالتي تصدر سنوياً عن
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.





وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء
لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله،
وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي
مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل
مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي
الذي يشيّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع
أصحابه وطلابه.

راجين من العليّ القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا
التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب
التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم
على النبيّ الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة البحوث





الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه رسالة، عن سير الصالحين من الصحابة والتابعين
ومن جاء بعدهم في حجهم لبيت الله الحرام.

فلنا في رسول الله ﷺ وفي صحبه ومن تبعهم بإحسان
الأسوة الحسنة والنهج الأمثل الذي ارتضاه الله عز وجل
طريقاً سويّاً للناس كافة، فهماً وعملاً واعتقاداً. قال جل
جلاله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:



[٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحَجِّينَ
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وخير القرون هو الأقرب إلى زمن النبي ﷺ، وأحسنها
نهجاً ومسلماً، فقد قال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين
يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١)، والخيرية المقصودة في الدين.

وخير الناس من كان أتقاهم الله عز وجل، وأعلمهم
بشرع الله، وألزمهم بسنة رسول الله ﷺ، مع الصدق في القول
والعمل، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه
في الدين»^(٢)، وإن الله سبحانه قد خص أهل العلم الشرعي
بالرفعة والفضل، قال جل جلاله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ٢٦٥٢، صحيح مسلم ٢٥٣٣.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ٧١، صحيح مسلم ١٠٣٧.



مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿ [المجادلة: ١١]، وفي حديث
بيّن المنزلة العظمى لأهل العلم الشرعي بكونهم ورثة الأنبياء
وحاملي أمانة الدين وتبليغه وتبيينه، قال ﷺ: (وإن الملائكة
لتضع أجنحتها رضا لطلاب العلم، وإن العالم ليستغفر له
من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء،
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن
العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما
ورثوا العلم)^(١).

إن السلف الصالح رضي الله عنهم قد ورثوا العلم
الصافي والهدي النبوي والسمت الحسن عن رسول الله
ﷺ، فهم الرجال المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله

(١) سنن الترمذي ٢٦٨٢، سنن أبي داود ٣٦٤١، وقال الأرئؤوط:
حسن بشواهده.



عليه فأخلصوا ولم يبدّلوا تبديلاً، فالإقتداء بهم فضيلة ونجاة
وفلاح بإذن الله تعالى.

فمن هذه المنطلقات، نقف ووقفات نتأمل فيها حال خير
الناس في عبادة هي من أعظم العبادات في الإسلام. وهي
خمس ووقفات، ووقفة عن الإخلاص وتصحيح النية ومراجعة
النفس. ووقفة عن متابعة سنة النبي ﷺ والحذر من مخالفتها.
ووقفة عن حسن الظن بالله عز وجل وطلباً لرضاه ورجاء
عفوه واجتهاداً في عبادته. ووقفة عن الأدب وحسن الخلق
وبذل الخير والمعروف. ووقفة عن بذل العلم النافع وطلبه.

هذا، ونسأل الله عز وجل العلم النافع والعمل الصالح،
وأن يتقبل منا ومن المسلمين الحج وصالح الأعمال والأقوال،
إنه سميع مجيب.

عبد الله بن خالد الهاشمي





منزلة الحج وفضله

قبل أن نسير في ثنايا سير الصالحين في الحج، يحسن أن نبين منزلة الحج وقدره وفضله باختصار؛ فإن سلفنا الصالح قد بذلوا من الاجتهاد في الإخلاص والعبادة على قدر منزلة هذا الركن العظيم.

إن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام. موسمه من خير مواسم العمر، والعشر الأوائل فيه من أفضل أيام السنة وأحب الأعمال الصالحة إلى الله فيها^(١). والحج المبرور الذي لا رفت فيه ولا فسوق ليس له جزاء إلا الجنة^(٢). وهو من أفضل الأعمال، وأعظمها سبباً لغفران الذنوب وصلاح القلوب. وبياهي عز وجل ملائكته بأهل الموقف في عرفة

(١) انظر: سنن الترمذي، ٧٥٧، ومصنف عبد الرزاق ٨١٢٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، ١٧٧٣، صحيح مسلم ١٣٤٩.





ويدنو منهم - جل في عليائه وتقدس -، فما من يوم أكثر عتياً
من النار من هذا اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم (١).

إن هذه الفضائل والمعاني العظيمة، قد استقرت في
نفوس الصحابة والتابعين، فعبروا عنها بكلمات ملؤها
التعظيم والإجلال.

فقد خرج عمر رضي الله عنه يوماً، فرأى ركباً، فقال:
«من الركب؟» فقالوا: حاجين. قال: «ما أنهزكم (٢) غيره؟»
قالوا: لا. قال: «لو يعلم الركب بمن أناخوا القرت أعينهم
بالفضل بعد المغفرة، والذي نفس عمر بيده، ما رفعت ناقة

(١) انظر: صحيح مسلم ١٣٤٨.

(٢) النهز: الدفع والتحريك، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى
الصلاة: (من توضع ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة
غفر له ما خلا من ذنبه) [متفق عليه]. انظر: لسان العرب،
باب (نهز).



خَفَّهَا، وَلَا وَضَعْتَهُ، إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَهُ دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ»^(١).

وعن كعب رضي الله عنه قال: (وفد الله ثلاثة: الحاج، والعمار، والمجاهدون، دعاهم الله، فأجابوه، وسألوا الله، فأعطاهم)^(٢). ورأى رضي الله عنه قوماً حاجين، فقال: (لو يعلم هؤلاء ما لهم بعد المغفرة لقرت عيونهم)^(٣).

وسئل طاوس رحمه الله: الحج بعد الفريضة أفضل أم الصدقة؟ فقال: (أين الحل، والرحيل، والسهر، والنصب، والطواف بالبيت، والصلاة عنده، والوقوف بعرفة، وجمع ورمي الجمار؟) كأنه يقول: الحج^(٤).

(١) مصنف عبد الرزاق ٨٨٠٢.

(٢) مصنف عبد الرزاق ٨٨٠٣، وروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ بطرق لا تخلو من ضعف، وحسنه الألباني بمجموعها.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢٦٤٧.

(٤) مصنف عبد الرزاق ٨٨٢٢.



فإنها رحلة في أيام معدودات وعبادة واحدة قد جمعت
عبادات وفضائل، قد أفلح من استغلها وبرّ فيها وأخلص
العمل لوجه الله تعالى.



الإخلاص

الإخلاص هو إصلاح النية في العبادة بأن تكون خالصة لله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ٢٥] فهذا الإخلاص، ثم قال: ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي متبع لسنة النبي ﷺ^(١)، وقال الفضيل بن عياض: أحسن العمل أخلصه وأصوبه، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة^(٢).

وإخلاص العبادة لله وحده هو لبّ دعوة المرسلين وأصلها، قال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ١٧٦).





ونحفظ جميعاً حديث النبي ﷺ (إنما الأعمال بالنيات،
وإنما لكل امرئ ما نوى)^(١)، يدل على أهمية النية في العبادات،
وأهمية إصلاحها ومراجعتها.

وإن شعار الحج (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك
لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) يفيض
توحيداً، ويذكر الملبّي حال تلبّيته بالإخلاص والنية التي
لأجلها ترك الأوطان، وبذل الأموال، وارتحل قاصداً بيت الله
الحرام، تسليماً لأمر الله سبحانه.

هذا وقد مر معنا في فضل الحج، قول عمر رضي الله عنه
للركب: (ما أنهزكم غيره؟) أي ما خرجتم مسافرين إلا لأجل
أداء هذه العبادة؟ فهذه هي النية الخالصة التي سأل عنها أولاً،
لأن بها تقبل الأعمال، ويثاب فاعلها بالأجر العظيم.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ١، صحيح مسلم ١٩٠٧.



وروي عنه قوله وهو بطريق مكة: (تَشَعُّونَ وَتَغْبُرُونَ
وَتَتَفَلُّونَ^(١)) وَتَضْحُونَ، لا تريدون بذلك شيئاً من عرض
الدنيا، ما نعلم سفيراً خيراً من هذا) يعني الحج^(٢).

ومن إخلاصهم كانوا أشد حرصاً أن تكون نفقات الحج
من المال الحلال الطيب الذي لا يخالطه حرام من غش أو
سرقة أو ظلم، كما قال أبو إدريس الخولاني رحمه الله: (أربع في
أربع: لا يقبل في حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة: الخيانة،
والسرقة، والغلول، ومال اليتيم)^(٣).

(١) التفل: ترك استعمال الطيب، ومنه قول النبي ﷺ عن خروج
النساء إلى الصلاة: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن
ليخرجن وهنَّ تَفَلَات) [أبو داود]. انظر: لسان العرب،
باب (تفل).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (٢٣٧).

(٣) مصنف عبد الرزاق ٨٨٤٠.



إذن، للإخلاص والنية الصحيحة الشأن الأعظم، الذي
يجب مراعاته أشد المراعاة، والعناية به غاية العناية، ومراجعة
النفس دائماً في عباداتها، مع التوكل على الله عز وجل في
تصحيح النية وإخلاص العمل له سبحانه.



اتباع سنة النبي ﷺ

وهو الركن القرين للإخلاص كما مر، فلا تكون العبادة الخالصة صحيحة مقبولة إلا أن تكون على سنة النبي ﷺ. وقد قال ﷺ: (خذوا عني مناسككم) ^(١) يعلمهم طريقة الحج التي يريد الله عز وجل، ومثل ذلك في الصلاة، قوله عليه الصلاة والسلام: (صلوا كما رأيتموني أصلي) ^(٢).

وقد أمر الله أهل الإيمان باتباع سنة نبيه والرجوع إليها، قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، فقرن الله طاعته

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٩٧٩٦، والحديث في صحيح مسلم ١٢٩٧ بلفظ آخر.

(٢) صحيح البخاري ٦٣١.





بطاعة نبيه، وأمر بالرجوع إلى كتابه وإلى سنة نبيه، حينها تنال الهداية ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وعلى ضوء هذه النصوص ذي المعاني المتأصلة في نفوس السلف الصالح، نجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد نقلوا حج النبي ﷺ بتفاصيله، وتمسكوا بسنته، وحذروا من مخالفتها، وسار على ذلك التابعون ومن جاء بعدهم من أئمة الهدى.

ففي الحج والعمرة، اشتهر قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عن تقبيل الحجر: (إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)^(١). قال ابن حجر رحمه الله: (وفي قول عمر هذا التسليم للشارع

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ١٥٩٧ واللفظ له، صحيح مسلم



في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه^(١).

وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه، قال: (طفت مع عمر بن الخطاب، فاستلم الركن، فكنت مما يلي البيت، فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود، جررت بيده ليستلم، فقال: ما شأنك؟ فقلت: ألا تستلم؟ قال: ألم تطف مع رسول الله ﷺ؟ فقلت: بلى، فقال: أفرأيته يستلم هذين الركنين الغربيين؟ فقلت: لا. قال: أفليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى. قال: فانفذ عنك^(٢)، فهذا هو التأسي الذي يفهمه الصحابة

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/٤٦٣).

(٢) مسند أحمد ٣١٣. وقوله (فانفذ عنك) أي اتركه وتجاوزه. انظر: لسان العرب، باب (نفذ).



رضي الله عنهم، الوقوف على العبادات كما وردت بها السنة النبوية، لا يتجاوزونها.

وقد جاء رجل يريد الحج أو العمرة إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى، فقال: (أبا عبد الله، من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ. فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد - أي المسجد النبوي - . فقال: لا تفعل. قال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر - قبر رسول الله ﷺ - . قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة. قال: وأي فتنة في هذا؟ إنما هي أميال أزيدها! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[النور: ٣٦] (١) فما زالت هذه الكلمات المستنبطة من الآية قاعدة يسير عليها المتبعون لسنة نبيهم ﷺ، فما جاء به النبي ﷺ هو الهدى الذي ارتضاه الله لنا ديناً.

من خلال هذه الآثار نجد عناية وتمسكاً بأداء العبادات كما أداها النبي ﷺ، صحيحة مقبولة إن شاء الله تعالى. فيحرص المؤمن أن يلتزم بهدي النبي ﷺ، وطريقته، ولا يتعبد لله إلا بالطريقة التي يريدتها الله تعالى كما أداها رسول الله وبلغها عن ربه.



(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٤٣٢).



الاجتهاد في العبادة والرجاء وحسن الظن بالله

إن أيام الحج معدودات، وعظيم أجرها كبير لمن أخلص واجتهد واتبع السنة في عباداته، وذلك فضل الله ورحمته، يكرم به وفوده، الذين أتوا من كل فج عميق؛ لذلك كان اجتهاد أهل العلم في هذه الأيام مضاعفاً، وفي عرفة خصوصاً، فكانوا في دعائهم وذكرهم وتلاوتهم لكتاب الله مشتغلين، ويوصي بعضهم بعضاً بالاجتهاد والخلو بالنفس في يوم عرفة^(١)، كل ذلك رجاءً ورغبة فيما عند الله عز وجل، وحسن الظن به سبحانه، واجتهاداً في العبادة، لينالوا الخير العميم في هذه الأيام. فكان النبي ﷺ والصحابة في يوم عرفة بين مكبرٍّ ومهللٍّ^(٢)، يذكرون الله ولا يسأمون من ذكره.

(١) انظر: حلية الأولياء (٣/ ٣١٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم ١٢٤٨.



ومن وصايا السلف ما ورد عن الحسين بن علي رضي الله
عنهما، أنه لقي قوماً حجاجاً، فأوصاهم: (إنكم من وفد الله،
فإذا قدمتم مكة، فاجمعوا حاجاتكم، فسلوها الله)^(١).

لقد كانت عنايتهم بشأن الدعاء في الحج كبيرة، وفي يوم
عرفة شأن أعظم، فقد روي أن عمر رضي الله عنه لقي رجلاً
يسأل الناس - يطلب من أموالهم -، فنهره: (أفي هذا اليوم وفي
هذا المكان تسأل من غير الله؟!)^(٢). وكذلك جاء عن سالم بن
عبد الله بن عمر أنه رأى سائلاً يسأل الناس يوم عرفة، فقال:
(يا عاجز! في هذا اليوم يُسأل غير الله عز وجل؟!)^(٣) تعظيماً
لشأن الدعاء وإخلاص المسألة الدينية والدينية لله وحده في
هذا الموقف العظيم.

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢٦٥٣.

(٢) رواه رزين، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن
الأثير ٧٦٤٦ (١٠/١٦١).

(٣) الأذكار للنووي ٥٠٢ (ص ١٧٤).





ومن مواقف الاجتهاد، ما رواه داود بن أبي عاصم رحمه الله، قال: (وقفت مع سالم بن عبد الله بعرفة أنظر كيف يصنع؟ فكان في الذكر والدعاء حتى أفاض الناس)^(١).

وكان الحافظ الخطيب البغدادي يختم القرآن في كل يوم من أيام الحج^(٢).

وفي باب الرجاء وحسن الظن بالرحمن سبحانه، ينقل الحافظ ابن رجب موقفين لأئمة من أعلام المسلمين وعلمائهم، قال رحمه الله: (قال ابن المبارك: جئت إلى سفیان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم.

وروي عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة، فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٥١٣٤.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٤٢٣).



دانقاً - يعني سُدس درهم - أكان يردهم؟ قالوا: لا. قال: والله
للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.

وإني لأدعو الله أطلب عفوهُ

وأعلم أن الله يعفو ويغفر

لئن أعظم الناس الذنوب فإنها

وإن عظمت في رحمة الله تصغر^(١)

فالحرص الحرص، على اغتنام هذه الأوقات، وحسن
استغلالها بالدعاء وأنواع القربات والطاعات، حتى تكون
من الفائزين والغانمين بالخير والرحمة والبركات.



(١) لطائف المعارف لابن رجب (٢٨٧).



حسن الأدب وبذل المعروف

إن الله عز وجل أمر حجاج بيته بالبر وحسن الخلق، فقال سبحانه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكان صلى الله عليه وسلم إمام أهل الأخلاق ومعلمها، يوصي أصحابه بأن يخالفوا الناس بخلق حسن^(١)، وكان أكثر الناس تبسماً^(٢)، وأكثر بذلاً للمعروف والخير، كما هو معروف مشهور من سيرته عليه الصلاة والسلام.

وإن حسن الخلق من كمال الإيمان، قال عليه الصلاة والسلام: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)^(٣).

لما ارتوت نفوس السلف الصالح من معين الكتاب والسنة الصافي الداعي إلى محاسن الأخلاق والآداب وبذل

(١) سنن الترمذي ١٩٨٧.

(٢) مسند أحمد ١٧٧١٣.

(٣) سنن الترمذي ١١٦٢.



الخير والمعروف، انعكس ذلك على حياتهم كلّها، فكانوا أئمة يقتدى بهم فيها.

ففي سفر الحج، يقول مجاهد رحمه الله: (صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني)^(١).

وعن سعيد بن جبير رحمه الله، أنه سئل عن أفضل الحجاج، فقال: (من أطعم الطعام وكف لسانه) وقال الثوري: (سمعنا أنه من بر الحج)^(٢) وفي رواية عنه أنه قال: (سمعنا أن بر الحج طيب الطعام وطيب الكلام)^(٣).

وكان الإمام الزاهد والتاجر الغني، أمير المؤمنين في الحديث عبد الله بن المبارك، كريماً جواداً، ينفق من حُرِّ ماله على أصحابه، يجهزهم للحج، وكان في الرحلة يطعمهم أطيب

(١) لطائف المعارف لابن رجب (٢٣٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق ٨٨١٦.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٨٨٢٠.





الطعام، ويدعوهم إلى شراء المتاع لأهلهم وعيالهم على نفقته
كلما نزلوا منزلاً^(١).

ونقل ابن رجب قول أبي جعفر محمد الباقر رحمهم الله
تعالى: (ما يُعبأ بمن يؤمُّ هذا البيت إذا لم يأت بثلاثة: ورع
يجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به غضبه، وحسن
الصحابة لمن يصحبه من المسلمين) ثم قال ابن رجب: (فهذه
الثلاثة يحتاج إليها في الأسفار، خصوصاً في سفر الحج، فمن
كملها فقد كمل حجه وبرّ)^(٢).

فلا يكتمل برّ الحج إلا بحسن صحبة الأهل والأصحاب،
وذلك بامتنال أوامر الشرع بالخلق وطيب الكلام، وترك
الشقاق والجدال وسوء الأخلاق.



(١) انظر: مشير الغرام لابن الجوزي (٨٧).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (٢٣١).



طلب العلم وتعليمه

طلب العلم النافع عموماً، والعلم الشرعي خصوصاً، من خير ما يقوم به المسلم لأجل صلاح دنياه وآخرته، فتعلم فرائض الدين هو من أكد الواجبات على المسلم. وإن خير الناس صنفان: من تفقه في دينه، ومن يفقه الناس في دينهم، فقد قال ﷺ «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١)، وقال عليه السلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢).

وما بلغنا القرآن والسنة وعلوم الشريعة الغراء إلا بجهد جهيد، وإخلاص، وعمل دؤوب ممن سلفنا من العلماء، فحفظ الله بهم الدين، فقد عاشوا حياتهم بين طلب للعلم وتعليمه، بين حفظ وتأليف وإملاء وتدریس ومدارسة وإفتاء

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ٧١، صحيح مسلم ١٠٣٧.

(٢) صحيح البخاري ٥٠٢٧.



واستفتاء، في حلهم وترحالهم، حتى اشتهر قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن طلب العلم: (مع المَحْبَرَة إلى المقبرة) لما رآه أحد أصحابه وهو يحمل محبرة، قائلاً له: يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين!^(١)

وفي الحج لم تغب هذه السمة الطيبة، بل كانت حاضرة، بين طالب للعلم ومبلغ له:

فهذا أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه في الحج، يقوم على الناس بعد صلاة الظهر بمكة يروي حديث الافتراق الشهير^(٢)، مؤدياً واجب البلاغ (بلغوا عني ولو آية)^(٣).

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٣٧).

(٢) انظر: مسند أحمد ١٦٩٣٧.

(٣) صحيح البخاري ٣٤٦١.



وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَفْسِّرُهَا لِلنَّاسِ آيَةَ آيَةً^(١).

وكانوا يغتتمون وجود أهل العلم بينهم للقائهم ومدارستهم: لما بلغ الإمام مالكا مقدم الإمام الأوزاعي إلى المدينة في حجّه، أتاه فسلم عليه وجلس، فتذاكرا أبواب العلم من بعد صلاة الظهر حتى اصفرت الشمس^(٢).

وكان طلبة العلم والحديث يجتمعون على الحافظ الخطيب البغدادي في الحج، ليحدّثهم، فيحدّثهم بحديث رسول الله ﷺ^(٣).

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني ١٠٦٢٠ (١٠/٢٦٥)، مصنف عبد الرزاق ٨١٢٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/٥٥٥).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٤٢٣).



نتعلم من مواقف العلم والعلماء الهمم العالية، وبذل
المال والوقت والجهد، لهذه الغاية الشريفة، رفعاً لجهل النفس،
وتعلماً لفرائض الدين وواجباته، وإفادة للناس، وطلباً للخير
والفلاح والرفعة كما وعد الله وبشر بذلك رسوله ﷺ.





مررنا سريعاً على شيء يسير من سير الصالحين في حجهم
لبيت الله الحرام، وكانت خمس وقفات، فيها من القول والعمل
ما يدل على المطلوب، نلخص ما يلي:

إن على قدر الحج ومنزلته عند الله عظم فضله، فكان
العمل والإخلاص والاجتهاد فيه بقدر ذلك، كذلك كان
النبي ﷺ والصحابة ومن تبعهم بإحسان، فكانوا بصلاح
قلوبهم مشتغلين، ورحمة الله راجين، وبه سبحانه الظن
محسنين، يذكرونه مهللين ومكبرين، يدعونه، لا يدعون
أحدًا سواه، يعبدونه رغبة ورهبة، خوفاً ورجاءً، مستسلمين
لشره، متبعين لأوامره، لينالوا رضاه ويفوزوا بجنته.



وإن الإخلاص في أداء هذا الركن هو أساسه، وتماه
بحسن اتباع النبي ﷺ، فإن الإخلاص والمتابعة ركنا قبول
العمل عند الله عز وجل.

وفي هذه الرحلة المباركة تبرز محاسن الإسلام وأهله،
بيذل الخير والمعروف، والكف عن الشر والمكروه، ويزداد
أهل العلم علماً، وأهل الفضل فضلاً، ولمن طلب حلال الدنيا
نصيب طيب مما أباحه الله وشرعه.

فينصرف البارون بنعمة من الله وفضل، قد أدوا
فرضهم وحفظوا حق الله، فيخرجون من خطاياهم كيوم
ولدتهم أمهاتهم، ما حفظوا حقوق الخلق، وسلموا من كبائر
الذنوب والبدع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



قائمة المصنّاور

- أحكام القرآن. للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ). راجعه: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- الأذكار. لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط رحمه الله. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



- جامع الأصول في أحاديث الرسول. لمجد الدين
أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير (المتوفى:
٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، مكتبة الحلواني -
مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.

- الجامع الكبير = سنن الترمذي. لأبي عيسى محمد بن
عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق: بشار عواد
معروف. دار الغرب الإسلامي - بيروت. سنة النشر:
١٩٩٨م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ
= صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
الجعفي (١٩٤هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار
طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد
عبد الباقي). الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.



- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ). دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

- السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ). مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد. الطبعة: الأولى - ١٣٤٤هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ). بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. وإشراف: محب الدين الخطيب. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار = مصنف ابن أبي شيبة. لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العسبي

- مسند الإمام أحمد بن حنبل. لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم. لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- المصنف. لأبي بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الناشر: المجلس العلمي - الهند. يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.



- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي.
لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ).
تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان
مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة،
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- المعجم الكبير. لسليمان بن أحمد اللخمي الشامي،
أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي بن
عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية - القاهرة. الطبعة: الثانية.
- مناقب الإمام أحمد. لأبي الفرج جمال الدين
عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).
تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر.
الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ.





قائمة المحتويات

٥	افتتاحية
٧	المقدمة
١١	منزلة الحج وفضله
١٥	الإخلاص
١٩	اتباع سنة النبي ﷺ
٢٤	الاجتهاد في العبادة والرجاء وحسن الظن بالله
٢٨	حسن الأدب وبذل المعروف
٣١	طلب العلم وتعليمه
٣٥	الخاتمة
٣٧	قائمة المصادر

* * *